نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك
رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس
أيـ

هد بن عبد العزيز آل سعود رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب
وطني يوم الأربعاء ٢١/١٠/١٤١٥هـ المهرجان الوطني العاشر للتراث والثقافة المقام في الجنادرية.

ـام الجنادريـة

بقلم / علي المليجي علي

ضمن ما تقوم عليه الثقافات بشكل عام - والثقافة العربية على نحو خاص - دراسة التاريخ، وجمع التراث، واستلهام التجارب الإنسانية النافعة، فالتاريخ من أهم الأسس التي يعتمد عليها بناء الأفراد والمجتمعات، ذلك أن التاريخ الثري يستطيع أن يبني أمة تعتز بذاتها، وأفراداً يفخرون بالانتماء إليها، بينما التاريخ الفقير يخلّف أفراداً يتحرجون من الانتماء إلى أمتهم، ويتبرءون من تاريخهم. وجمع ما خلفه الأقدمون من علوم ومعارف ووسائل مادية، جدير بأن يربط الأجيال الحديثة بتجارب آبائهم وأجدادهم، والتعرف من هذه العلوم والمعارف والوسائل المادية على طرائق تفكيرهم وأساليب تغلبهم على مطالب الحياة وفق إمكانياتهم المتاحة، أما الخبرات الإنسانية النافعة فهي تلك التجارب الخيِّرة في أنواع الابتكار وأنماط الحياة. والنظرة الموضوعية للجنادرية تقتضي القول بأن الجنادرية هي كل ذلك وأكثر. فعندما تعيش في القرية التراثية بعض الوقت، وتمعن النظر فيما وراء الأشكال والأبنية الطينية وأساليب الحياة القديمة، سوف تكتشف أنك أمام تاريخ، وحينما تتعدى ببصرك حدود القيمة المادية البسيطة للمعروضات، فسوف تدرك أنك أمام تراث، وكلما تعمق بك الفكر إلى ما وراء طرق التعليم، والألعاب الشعبية، ووسائل الزراعة وطرق الري، تكون قد جمعت خبرات إنسانية رفيعة يجسدها جهد أولئك الذين وضعوا اللبنات الأولى في صرح بناء هذا الوطن.

إنها دولة ورجال، دولة كان لها موعدها المنتظر مع حياة الأمن والاستقرار والازدهار فوهبها الله عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يوحد ربوعها بعد شتات، وينظم أمورها بعد فرقة، ويتجه بها نحو مستقبل واعد بالخير، ما تمسَّك أهلها بالشريعة منهاج حياة، وظلوا على العقيدة أساساً للوجود، وخلفه من بعده أبناء أكملوا المسيرة وضاعفوا الجهد واستغلوا الموارد، ووجهوا الطاقة، وجمعوا الأمة على كلمة التوحيد، فتحقق لهم ذلك المجد عندما استقروا في قلوب الناس محبة وتوقيراً، فقد بنوا المجد السعودي وأعلوا بناءه.

إنه تراث أمة، علم علماؤها وعملوا وعلّموا، وخلّفوا وراءهم تراثاً ثرياً في الفقه والتفسير والحديث واللغة والنحو والبلاغة والبيان، تراه في معرض للكتاب، أو لوحة فنان، في أمسية شعرية، في قصيدة تطرب المسامع وتدفيء المشاعر.

والجنادرية أيضاً خبرات إنسانية رفيعة في زمن عزت فيه سبل الحياة واشتد فيه كل شيء، لكن الأقدمون كانوا على قدر التحدي، ووضعوا اللبنات الأولى لدولة ناهضة متقدمة.

إذا كان ذلك هو مجمل توجه الجنادرية نحو التراث، فإن هنالك العديد من الرموز الدالة على العطاء وليس أهمها توجه الجنادرية شطر الثقافة بحيث غدت سمة من سماتها وعملاً رائداً تعتز به وتحرص عليه.

فلم يكن المهرجان الوطني طوال دورات المهرجان السابقة بعيداً عن الإنسان العربي المسلم ومعايشة قضايا الأمة العربية الإسلامية بل تضامن مع قضاياها الحيوية وطرحها للنقاش والحوار أمام المفكرين والأدباء والمنظِّرين، بهدف إثراء الرأي حول هذه القضايا وبحث وضع استراتيجية محددة للتعامل معها.

وكان أميز ما يميزه هذا العام هو ثقل المسئولية،

فمسئولية رجال الأدب والفكر والثقافة هي بناء الفكر وتوعية الضمير وتسليح جدران القلب في توازن مثالي بين العقيدة ومتطلبات حياتنا حتى يتشكل البناء الصلب الذي تتحطم أمام مكانته كل محاولات الغزو وحملات التأثير السلبي.

وهو ما استلزم التصدي لها بقوة، وكما قال صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد: «إن العزلة والسكوت ليس درعاً لنا بل سلاحاً مشهراً علينا، وإن الانزواء والانكماش أمام تطور العصر وانقلابه، ليس حصوناً بل رمالاً لا نريد لرءوسنا أن تدفن فيها في حقبة أصبح فيها هجوم التقانات وغزوات الفكر أمراً لا تصده الجنود وواقعاً لا ترده نقاط الحدود، فالدنيا أمست في اتساعها وكأنها قرية صغيرة تصغر الجنادرية».

وحتى لا تُستَدرج أمتنا إلى مجاهل لا تستبين معها طريقها إلى سلامتها واستقرارها، ناقش المهرجان من خلال النشاط الثقافي موضوع العرب في مواجهة التحديات، من خلال ندوة شملت أربعة موضوعات هي: الصراع الحضاري، الثقافة والإعلام، التربية والتعليم، السياسة والاقتصاد؛ وذلك بالإضافة إلى ندوة شخصية ثقافية سعودية، ومسابقة تحفيظ القرآن، وأمسية

الشعر السعودي، ومحاضرة حول فن الزخرفة الإسلامية، وأخرى حول فلسفة الفن الإسلامي، وندوة حول عمل المرأة، وأخرى حول واقع الحسبة في ضوء المنهج العربي، وأمسية أدبية نسائية.

في أيام الجنادرية، امتزجت الأصالة بالمعاصرة، واستحضرت العوامل الدافعة للتقدم والرقي لتهتدي الخطى إلى المسار الصحيح. وكان أمامها رؤية موضوعية لدور مأمول من العرب في المعترك الدولي، وإثراء لثقافة الأمة التي هي عنوان عبقريتها، وإزكاء للقيم الإسلامية وإعلائها لتظل واضحة في العقل، مؤثرة في السلوك، ومن أيام الجنادرية أيضاً يستمد المسلم قدرة على المواجهة والتحدي، ومنها تستمد المرأة دورها الفاعل ثقافياً واجتماعياً.

لقد كانت تجربة تنظيم ألوان النشاط التراثي، وفعاليات النشاط الثقافي وما يجري على هامش فعاليات المهرجان، تجربة فريدة في التنظيم والإدارة أظهرت قدرة أجهزة الحرس الوطني على التخطيط المحكم، والتنفيذ الجيد، والمتابعة الدقيقة، بحيث أمكن القول بأن الحرس الوطني - وهو المؤسسة العسكرية - قد طبق في أيام الجنادرية مبادئ الحرب، وهو ما يتضح في مبدأين: أولهما: هو اختيار القادة لمسارح العمليات، بحيث تسهم في كسب المعارك وفقاً للمذهب القتالي السائد والإمكانات المتاحة.

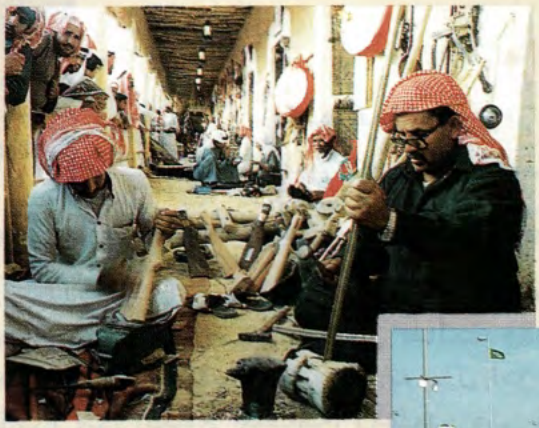

وثاني هذه المبادئ هو تنظيم الحشود توطئة لدفعها لهذا المسرح. فاختيار أرض الجنادرية جعل كل من زارها يعيش حالة خاصة تتناغم في وجدانه أصالة الماضي وروعة الحاضر، وتمتزج في ناظرية الأصالة والمعاصرة. كما وأن حشد العاملين والحضور على أرض الجنادرية وفي قاعات النشاط الثقافي، وتقديم الخدمات المختلفة لهم واستقبال الضيوف والزوار وتنقلهم في مقار المهرجان هو عملية حشد عسكري لا تقدر عليه إلا المؤسسات المعنية بصنعة الحرب. والحرس الوطني، في أيام الجنادرية وغيرها، هو المؤسسة العسكرية الحضارية المعنية بالإنسان والوطن، وهو «العضد القوي بالله، والساعد الأمين للحفاظ على العقيدة والوحدة والتراث والاستقرار» ■